



لحظة تأمل

ناصر حسين

لو.. عاد عبد الحليم !

ما زال يبحث أو يحاول أن يجد بارقة أمل لعودة زمن الفن الجميل ولكن الصدمات بدأت تتوالى فقد غاب عن الساحة الغنائية اصحاب الاصوات الجميلة وسيطرت الاغاني الهبابية اسف الشبابية على الساحة واخفت أصوات زملاء عبد الحليم وأقدمهم محرم فؤاد ومحمد رشدي ومحمد قنديل وبدأت اسهم وردة في الهبوط رغم انها غيرت مسارها الغنائي الجميل بالوقوف في طابور المطربين الشباب وتقلصت مجهودات نجاة فقد أصابها اليأس من اصلاح المسار حيث ان المتخصصين في اقتصاديات الاغنية بدأوا يقيمون المطرب او المطربة بإيرادات الألبوم الذي يتم إصداره

وحتى أحمد عدوية الذي كان معجبا به العندليب عند ظهوره لم يعد له وجود في الساحة الغنائية والصدمة الجديدة التي أصابته هي ظهور شعبان عبد الرحيم حيث بدأ في الصعود الى قمة الاغاني الشعبية بل ان اليوم ما بجيش اسرائيل وباحب عمرو موسى - وزع أكثر من مليون شريط وحقق أكثر من خمسة ملايين من الجنيحات

وفي الوقت الذي بدأت فيه مجموعة مطربي الموجه الجديدة البحث عن حل كان عبد الحليم مشغولا بالبحث عن المؤلفين والملحنين الباقين أطال الله عمرهم والذي لم يبق منهم سوى كمال الطويل الذي توقف عن التلحين واتجه الى الشارع السياسي . ومحمد حمزة الذي يعاني من اغاني الموجه الجديدة . والشاعر الكبير عبدالرحمن الابنودي اطال الله عمره .. وقديش الباقون من الاصلاح في عالم الاغنية

ويبحث عبد الحليم عن الفرقة الماسية التي كونها مع رفيق عمره أحمد فؤاد حسن وباقي أفرادها العظام واكتشف انه لم يعد لها وجود في ظل الاكتشافات الحديثة في الموسيقى حيث اكتفى الملحنون بالماكينات التي تضم عددا كبيرا من النغمات للاستعانة في تسجيل الاغاني بدلا من الاستعانة بالعناصر البشرية. لقد تحول كل شيء الى الميكنة وصار العزف صناعة خلت من الاحاسيس الانسانية الصادرة عن العازف الذي يعزف على الالة

وفي ظل رحلة الرصد التي يقوم بها العندليب الاسمر عبد الحليم حافظ لحالة الشارع الغنائي في مصر زحف الجماهير وملأت الشارع العربي تردد اغانيه خاصة الحماسية منها انتظارا منهم لعودة الحلم الذي يريدون ان يصبح حقيقة ويحاول عبد الحليم ان يلتمح بالجماهير ولكن اجهزة الامن اغلقت الشوارع ومنافذها حتى لا يستطيع الوصول اليهم .. وفشل في الالتحام مع الجماهير ولم يجد امامه الا اشارعا واحدا قد خلا من المارة ومن الجمهرة وهو شارع الموتى

فعاد للعالم الآخر الافضل والاحسن .. عالم النقاء والصفاء وحب الله بعيدا عن التلوث السمعي واللاوفا ..

لو عاد عبد الحليم الى الحياة في ذكره ليرصد الواقع الغنائي في مصر وما وصل اليه الان وكذلك الواقع الاجتماعي من خلال أصدقائه وحوارييه الذين كانوا يجتمعون حوله ساعات النهار والليل .. وماذا فعلوا في عبد الحليم والحكايات التي صاغوها حوله بعد رحيله والتي تحمل الكثير من خيال كتابها لان الشاهد الوحيد قد ذهب الى رحمة الله

واول ما يقابل عبد الحليم عند الوصول أزمة شركة صوتي الفن التي كونها مع صديق عمره محمد عبد الوهاب والمصور وحيد فريد وتركها امانة في عنق مستشاره وصديق الطريق مجدي العمروسي .. ولكن ما حدث كان صدمة له فقد تم تعيين حارس قضائي على شركة صوت الفن بعد أن قدم مجدي العمروسي وصية عرقية كتبها الراحل تنازل له فيها عن حصة من نسبتة في الشركة حيث وصلت الى الثلث رغم انه لم يكن عند توقيع الوصية قد حصل على حصة المصور وحيد فريد الذي كان شريكا في الشركة

كانت الازمة أول صدمة تلقاها عبد الحليم حافظ .. وتوالى الصدمات فقد علم ان الشركة ذاتها والتي تعتبر من شركات التراث الغنائي قد تم بيعها الى مجموعة «هيرمس» التي ظهرت فجأة في السوق السينمائي والغنائي حيث اشترت حق التراث الغنائي الذي يخصه ويخص الموسيقى الراحل محمد عبد الوهاب وعدد كبير من أصوات الغنائية المميزة التي اصدرت لها صوت الفن البومات غنائية الصدمة الثالثة التي أذهلت العندليب الاسمر اللاوفا الذي انتشر في زمن الفن الرديء الذي نعيشه الآن فقد تنكر أصدقائه له فقد تنكر العاملون ميديا الإعلام سواء في الصحافة والاذاعة والتليفزيون اقرب الناس له .. وهو «محمد شبانه» لقد أصدر عليه حكما بالاعدام قبل ان يظهر على الساحة الغنائية وفشل في الحصول على معاونة احد منهم مع أنه من أقرب الناس الى قلب عبد الحليم لأنه الوحيد الباقي من الذكور من أسرة شبانه التي هو ابنها .. لقد حاربوه في أول اليوم غنائي أصدره بل وأدوه لحساب اصحاب النفوذ الصدمة الرابعة التي أصابته القصص التي ابتكرها اصدقاء عبد الحليم حول حياته وقصص الزواج والحب التي عاشها في حياته مع ان المرض كان ينهش في جسده الهزيل . لقد اصروا على زواجه من الفنانة الكبيرة سعاد حسني التي تعالج الآن في لندن وقصص كثيرة ما نزل الله بها من سلطان

ورغم الصدمات المتوالية التي تلقاها عبد الحليم حافظ فإن خبر عودته قد أحدث هلعا لدى المطربين نبت الموجه الشبابية الجديدة حيث بدأت الاتصالات التليفونية بينهم يحاولون معرفة الحقيقة . وفي حالة اليقين من عودة العندليب لابد من تكوين لجنة للانتقاء لمواجهة الموقف من وجوده في الساحة الغنائية والجميع في واد والعندليب في واد آخر لانه

فضاق منها عبد الحليم وأغلق السماعة في وجهها. فكررت الاتصال به عدة مرات. وفي كل مرة كان يفعل نفس الشيء. ولما فاض به الكيل عندهما حدثته تليفونيا على مدار أسبوع كامل متصل، قرر أن يلقتها درسا لاتنساه، فاتفق مع شرطة التليفونات على أن تضع هاتفه تحت المراقبة. وعندما تتصل به هذه الفتاة المجنونة يلتقطون رقم تليفونها وبالتالي يتعرفون على عنوانها. وهذا ما حدث بالفعل. وتم القبض على الفتاة وأثناء التحقيق معها اكتشف المحقق انها غير طبيعية. فتم إرسالها إلى مستشفى الأمراض العقلية للكشف عليها. والتأكد من قواها العقلية. وبالفعل تم تشخيص حالتها على انها مصابة بدرجة من درجات فصام الشخصية. فقد تمت خطبتها إلى شاب لاتحبه وحاولت أن تفسخ خطبتها دون جدوى بسبب تمسك أهلها به. وعاشت الفتاة في جحيم لا يطاق. فقد كانت تعشق عبد الحليم لدرجة الهوس والجنون. وكانت تريد أن تتزوج من شاب يشبهه. وعندما عجزت، هداما تفكيرها إلى ملاحقة حليم عن طريق التليفون، لعله يوافق على أن يقابلها. ثم تطلب منه أن يساعدها في فسخ خطوبتها ويوافق بعد ذلك على الزواج منها. ولكن بعد أن صدها حليم عبر التليفون، أصيبت الفتاة بصدمة قاسية. فقد انهارت كل أحلامها، وتدهورت حالتها النفسية بشكل مؤسف. وأصبحت قريبة من الجنون.

مجنونة ٢

- أما ثالث مجنونة في حياة عبد الحليم فهي واحدة من بين آلاف الفتيات «المهوسات» به، ولكن تعلق هذه الفتاة بحليم، فاق كل تصور. وكل خيال، فقد ظلت تذهب إلى قبره يوميا وتضع باقة ورد على القبر. وتكتب على الباقة كلمات شاعرية مهداة إلى روحه واستلقت هذا المشهد أنظار حارس القبر، خاصة انها بدأت تأتي بصحبة بعض الفتيات الأخريات اللواتي يعشن العندليب إلى درجة الهوس. وأصبح مشهد وضع باقات الورد على قبر حليم متكررا وروتينيا. إلى أن جاءت ذكرى عبد الحليم في ٢١ مارس، وحضرت إلى القبر نفس المجموعة من الفتيات وبينهن تلك الفتاة المهوسة به وأخذت تذرफ الدمع الساخن الحار وتتبعها باقي الفتيات. وكان مشهدا مثيرا بحق. وقالت يومها الفتاة بعد أن هدأت قليلا: أن حليم قد استولى على كل مشاعرها وأحاسيسها حتى بعد وفاته. وانها لاتتصور إنسانا أو فنانا في هذا الكون يمكن أن يملأ فراغه.. سواء فقد أصبح حليم يملكها بأغانيه وأفلامه وأحاديثه التي سجلها للتليفزيون والاذاعة.

حسام سعيد